في (علاقة الشكل بالمضمون) عرض الدكتور لكثير من الآراء المتناغمة منها والمتصادمة من أجل الوصول معنا إلى إيضاح صريح للقضية ، بيد أنه ألمح إلى أدق وألطف ماتحفل به شؤون الحسم عندما أبان لنا بأن للشكل المعبّر عن المضمون أهمية، يجب -في أضعف الأحوال- أن تساويه،لأجل تمام القيمة واستكمال عناصر الإستقطاب .وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها كتاب الباري سبحانه وتعالى من واقع الإعجاز في المبنى كما في المعنى . وكذلك حديث الرسول ﷺ وأقوال الأئمة والصحابة الكرام ﷺ .فالإتجاه العام لأداة التعبير عن قيم الإسلام لم تفضل بين قيمة الشكل وقيمة المضمون ، كما أنها لم تعرف البتة بين ما هو غاية وماهو وسيلة ، فلكل أمر شريف سبيل من جنسه شريف ومن جهة ثانية ، فإن للشيء الجميل طريقاً جميلاً يقود إليه . باستعراضنا لمبحث (الأدب الإسلامي والتطور) الذي تنكّبَ خط الأدب مباشرة شطر الفلسفة ، ووصولاً إلى الأسس الباعثة لهذا التطور المراد للأدب الوضعي أن يمشي إليه،تستوقفنا انطباعات عَلّقتها في النفس تصفّحات متأنية لاحوال الفكر بعامة والأدب بخاصة . فالتطور في النظرية المادية للأدب هو أمر مفروض على الأدب وليس معروضاً عليه ، بل وليس بمتصور له مجرّد تصور قابل للتكّيف أو المراجعة . وهذه الصرامة المستعارة من عالم القوانين الطبيعية لايفسّرها إلا وصول الحركات الإجتماعية والسياسية،والنوادي السرية التي كانت تسعى لإحكام سيطرتها على العالم من طريق المادة والإستيلاء على قيم الإنتاج ورأس المال في المدن والعواصم الرئيسية الكبرى في العالم ، لاسيما وإن معظم مفكري القرن التاسع عشر الذي هو قرن القرون بالنسبة إلى هذا التحوّل المفروض ، هم أعضاء في الجمعيات والنوادي والحركات السرّية ، بل وأكثر من ذلك هم من القوم الذين التصقت بهم لعنة الله إلى يوم الدين ، وأعني بهم اليهود الذين كان لقيادتهم الفكرية الأثر المدمر في حياة بني الإنسان وعلاقاتهم بالسماء وبأنفسهم .

فالدين والفكر والأدب وكل حقل في دائرة الشؤون الإنسانية لم يسّع بداية